اسرائيل بعد سنتين من تشرين : عود على بدء

صبري جريس

يبدو ، مع مرور سنتين على حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، ان الدورة التي بدأتها تلك الحرب تقترب من نهايتها . ويبدو أيضا ان معظم المشاكل التي نجمت عن تلك الحرب ، على صعيد الاوضاع الاسرائيلية الداخلية او علاقاتها الخارجية ، تسير على طريق ايجاد الحلول لها ، المؤقتة او الدائمة . ان الفترة التي مرت منذ نشوب الحرب وحتى اليوم ليست كافية بالطبع لتقويم نتائجها على صعيد الصراع العربي ـ الاسرائيلي على المدى البعيد ، ولكن ما تخللها من احداث وتطورات وما تبعها من مواقف وردود فعل اسرائيلية يكفي ، على الاقل ، للوقوف على الملامح الرئيسية للسياسة الاسرائيلية التي تبلورت بعد حرب تشرين ، وفي ضوء نتائجها .

النظام يعود الى سابق عهده

كانت اولى النتائج التي ترتبت على حرب تشرين ، وما لحق باسرائيل خلالها من خسائر بشرية ومادية ، تضعضع هيبة الحكم في اسرائيل وسقوط أسهم معظم الزعماء السياسيين والقادة العسكريين الذين كانوا يقودون اسرائيل وقتها . فالمفاجأة التي وقع الاسرائيليون فيها مع نشوب الحرب ، ثم الخسائر البشرية التي نجمت عن ذلك ، المتمثلة في الآف القتلى والجرحى ، أثارت سخطا لا مثيل له على النظام وقادته ، وأدت الى اشتداد حملات الطعن والانتقاد الموجهة الى نظام الحكم ، بزعمائه واحزابه ومؤسساته على اختلاف انواعها . وسرعان ما تبلورت حملات الانتقاد هذه على شكل حركات احتجاج منظمة ، يقال ان عددها زاد على ٣٠ حركة او مجموعة ، هدفها المعلن العمل على كشف « التقصير » الاسرائيلي الذي اسفرت عنه الحرب ومعاقبة المسؤولين عن ذلك . ولم يمر وقت طويل حتى وجدت الحكومة الاسرائيلية نفسها تشكل لجنة للتحقيق في سير الحرب وتحديد مسؤولية الاشخاص الذين اشرفوا عليها . وقد ادانت لجنة التحقيق هذه (لجنة أغرانات) ، كما هو معروف ، في تقريرها الاولي الذي نشرته في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ، المخابرات العسكرية الاسرائيلية بالتقصير وحملتها المسؤولية الاولى لما اصاب اسرائيل من خسائر ، مما ادى الى اقالة رئيس شعبة المخابرات وعدد من كبار ضباطه . ولكن حملة الغضب التي اجتاحت اسرائيل لم تكتف بأكباش الفداء هذه ، اذ استمرت حملات الاحتجاج الداعية الى الكشف عن كبار المسؤولين عما لحق باسرائيل اثناء الحرب « ومعاقبتهم » ، بينما استمرت المظاهرات المعادية للحكومة ، وخاصة رئيستها غولدا مئير ووزير الدفاع موشي دايان ، الى ان اضطر دايان الى تقديم استقالته وتبعته مئير ، فاستقالت الحكومة بأسرها . وكان من الواضح ، مع استقالة الحكومة ، ان الاشخاص الذين تزعموا اسرائيل حتى ذلك الوقت ، وخاصة مئير ، قد وصلوا الى نهاية المطاف ويتوجب عليهم ، على الاقل ، اعتزال الحياة السياسية . وعلى الاثر اجتمعت اللجنة المركزية لحزب العمل الحاكم في اسرائيل لاختيار خلف لمئير كرئيس للحكومة ، ووقع الاختيار على